

التغيرات الديموغرافية في فلسطين منذ وعد بلفور عام 1917

د. أحمد رأفت غضية- رئيس قسم الجغرافيا- جامعة النجاح الوطنية

مقدمة

بدأت طموحات الحركة الصهيونية لإقامة دولة لهم على أرض فلسطين مع نهاية القرن التاسع عشر، من خلال المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مدينة بازل في سويسرا ما بين 29 و 31/8/1897 بقيادة تيودور هيرتزل، وكان من أهم قراراته العمل على إيجاد وطن لليهود في فلسطين. في عام 1917 صدر وعد بلفور الذي يدعم إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، كما أن بريطانيا أعلنت أنها ستبذل ما بوسعها لتحقيق هذا الهدف. ومن بين أهم الإجراءات التي قامت بها حكومة بريطانيا لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بالإضافة إلى دعم إقامة مؤسسات سياسية واجتماعية صهيونية في فلسطين لتشكيل نواة الدولة الموعودة.

تظاهر العرب احتجاجا على ما تقدمه بريطانيا من تسهيلات للهجرة اليهودية اخذت شكل هبات متقطعة، مانته اولها بين عامي 1920 و 1921، ثم هدأت الأوضاع بصورة نسبية لمدة ثماني سنوات، مما أتاح الفرصة أمام الحركة الصهيونية استئناف موجات الهجرة بشكل هادئ، الهبة الثانية كانت عام 1929 وعرفت بثورة البراق، تلعبها حالة من الهدوء النسبي لمدة سبع سنوات استغللت في استخدام الاف المهاجرين اليهود جلهم من الشباب. وفي عام نيسان 1936 اندلعت ثورة الفلاحين، وقد حققت هذه الثورة نجاحا ملحوظا، مما دفع الحكومة البريطانية إصدار الكتاب الأبيض عام 1939 الذي دعا

الى إقامة دولة واحدة على أساس نسبي، كما دعا الى تحديد الهجرة اليهودية وبيع الأراضي الى اليهود، لكنه لم يدعو الى وقفهما. توقفت الثورة في أيلول 1939 وهو تاريخ اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان للحكومات العربية أثناء الثورة دور مهادن لبريطانيا ويدعو الفلسطينيين للتهدئة والوثوق بالعود البريطانية، ومن الواضح ان بريطانيا لم تكن جادة في موقفها، وهدفت من هذا الكتاب الى تهدئة العرب للتفرغ الى ادارة صراعتها على المستوى العالمي في الحرب العالمية الثانية. عاودت بريطانيا الى استخدام القوة ضد العرب مما أدى الى إضعافهم، وفي المقابل تمكن اليهود من بناء قوة يحسب لها حساب في هذه الفترة (Kabaha, 1988).

في 29\11\1947 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين والذي يحمل الرقم 181، والذي دعا الى تقسيم فلسطين الى دولتين، واحدة عربية والثانية يهودية، ووضع القدس تحت السيطرة الدولية، وخصص القرار 56% من مساحة فلسطين للدولة اليهودية، وكان موقف معظم القيادة الفلسطينية والعربية هو رفض القرار، اما موقف اليهود فكان في ظاهره مؤيدا للقرار وفي حقيقته رافضا له، خاصة أن العصابات الصهيونية استمرت في ارتكاب المجازر بعد صدور القرار، وفي هذه الفترة كان يعيش في فلسطين 1.4 مليون فلسطيني و 605 الاف يهودي (30% من مجموع السكان)، وكان اليهود يسيطرون على 7% فقط من مساحة فلسطين الإنتدابية.

في 15\5\1948 قررت بريطانيا سحب قواتها من فلسطين، واعلن ديفد بن غوريون إقامة دولة إسرائيل وفقا لقرار التقسيم. اندلعت الحرب بعد انسحاب القوات البريطانية، ودخلت الجيوش العربية الحرب الى جانب الفلسطينيين الا انها هزمت نظرا لانعدام التنظيم في صفوفها ونقص العدة والعتاد وعدم التنسيق فيما بينها. في حين كانت القوات الصهيونية مدربة جيدا، وكان قسم منهم قد خدم في الجيوش الأوروبية

وخاصة الجيش البريطاني، بالإضافة الى ان عددهم كان يزيد على 62 الف مقاتل، وشكلت الحركة الصهيونية العصابات مثل الهاجاناه والارغون وشتيرن، وكانت مهمتها إرهاب وترويع العرب في مدنهم وقراهم لدفعهم للهجرة (Tamari, 2006).

مع نهاية الحرب وتوقيع اتفاقية الهدنة عام 1949 كان اليهود قد سيطروا على 78% من أرض فلسطين الإنتدابية، ولم يتبق سوى 22% تتمثل بالضفة الغربية وقطاع غزة، فوضعت الضفة الغربية تحت الحكم الأردني وقطاع غزة تحت الإدارة المصرية.

إن الإجراءات الإسرائيلية في الموضوع الديموغرافي تتبع من عدة منطلقات، أهمها الخطر الأمني للتفوق الديموغرافي الفلسطيني، وعنصرية الكيان الصهيوني الذي لا يتقبل الاخر ويرفضه، وميل اليهود للعيش في معازل خاصة وعدم الإدماج في الثقافات الأخرى، ومن هنا يطرح الإسرائيليون حاليا فكرة تبادل الأراضي في المناطق التي يتفوق فيها الفلسطينيون ديموغرافيا على اليهود، مثل منطقة مدينة أم الفحم والمثلث الفلسطيني بشكل عام.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من أهمية العامل الديموغرافي في تحديد مستقبل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وأخذ العبر من تاريخ هذا الصراع، خاصة فيما يتعلق بعمليات التهجير القسري الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، والحيلولة دون تكرار ذلك عن طرق تعزيز صمود السكان في أرضهم.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مراحل التغير الديموغرافي منذ وعد بلفور عام 1917 حتى الفترة الحالية، كما تهدف إلى تحليل الإجراءات الإسرائيلية الهادفة إلى تحقيق تفوق ديموغرافي دائم على الفلسطينيين، والسعي حثيثاً لتحقيق اعتراف بيهودية الدولة، وتهدف أيضاً إلى لفت انتباه أصحاب القرار الفلسطيني بضرورة اتخاذ إجراءات على الأرض من شأنها تقوية انتماء المواطنين لأرضهم وعدم الهجرة إلى الخارج، خاصة إلى الدول التي تيسر عمليات الهجرة من فلسطين.

إن موضوع التحولات الديموغرافية في فلسطين يحتل مكانة متقدمة لدى الباحثين الفلسطينيين والإسرائيليين والدوليين، لما له من أهمية في تحديد مستقبل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والحلول السياسية المقترحة.

تناول يوسف كامل إبراهيم عام 2004 موضوع التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، وتوصل في دراسته إلى أن العامل الجغرافي المتمثل بالأرض والعامل الديموغرافي المتمثل بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وطرد العرب من وطنهم لها الكلمة الفصل في هذا الصراع.

كما تناول محمد مراد عام 2011 موضوع الدولة اليهودية وإشكاليات الهوية والجغرافيا السياسية والديموغرافيا بالدراسة والتحليل، وخلصت الدراسة إلى اعتبار المشروع الصهيوني ترجمة لفكرة يهودية عقائدية تهدف إلى السيطرة على فلسطين وطرد سكانها وإقامة دولة يهودية، والانتقال من مرحلة الأسرلة إلى مرحلة التهويد.

أما الباحث جمال البابا (2004) فقد تناول موضوع الهاجس الديموغرافي في إسرائيل، وخلصت دراسته إلى أن إسرائيل معنية بتضخيم الخطر الديموغرافي بهدف تحقيق مكاسب سياسية، والتهرب من أي

استحقاقات قد تفرضها العملية السياسية، خاصة فيما يتعلق بموضوع الحدود وحق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتقدم إسرائيل نفسها دوليا خاصة أمام الولايات المتحدة وأوروبا بأنها يمكن أن تكون ضحية فيما لو طبق قرار حق العودة للاجئين الفلسطينيين رقم 194 الصادر عن الأمم المتحدة.

أما أكرم أبو عمرو فقد تناول الاستيطان الإسرائيلي بين الجغرافيا والديموغرافيا (2010)، وخلصت الدراسة الى أن فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين مستمدة من فكر أيديولوجي يهدف الى تحقيق الحلم اليهودي " دولة إسرائيل من النيل الى الفرات".

وقام حسن عبد العال (2001) بتحليل الجيوبوليتيكا الإسرائيلية، وتبين من الدراسة ان الفكر الصهيوني عمل جاهدا على تطبيق فكرة التمدد الجغرافي وتوسيع المجال الحيوي للدولة وصولا الى مشروع "إسرائيل الكبرى"، مستفيدا من الجانب العملي التطبيقي للجيوبوليتيكا النازية أكثر مما استفادت من الجانب النظري الذي تمثل في أفكار ونظريات هوسهوفر، ولا بد من تطوير الحركة الصهيونية والدولة الصهيونية لفكرتها على هذا الصعيد، ونقلها من مستوى النزعة الجيوبوليتيكية الى مستوى جيوبوليتيكا الحرب.

وتناول صلاح عبد العاطي (2007) الإستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948، وخلصت الدراسة الى اعتبار المستعمرات اليهودية بمثابة رأس جربة في برنامج إسرائيل التوسعي القائم على سياسة فرض الأمر الواقع.

أما نبيل السهلي فقد قام بدراسة "فلسطين ارض وشعب" تناول فيها التغيرات التي حصلت للشعب الفلسطيني بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل في سويسرا، وتوصلت الدراسة الى انه تم طرد نصف الشعب الفلسطيني عام 1948 بالقوة، كما تم تدمير 385 قرية فلسطينية.

وتناول ماوريتسيو سكايني Scaini Maurizio (2006) موضوع الديموغرافيا والأقليات والهجرة وعوامل جغرافية سياسية جديدة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وخلصت الدراسة الى ان السياسة الإسرائيلية تتطرق من تخوفات إسرائيل على وجودها في ظل عدم اعتراف الفلسطينيين بحق إسرائيل بالوجود - علما بأن منظمة التحرير الفلسطينية اعترفت بدولة إسرائيل عام 1993-، وعزت الدراسة الدراسة بناء جدار الفصل لدواعي امنية، كما ان الانسحاب من غزة كان لدواعي ديموغرافية.

وقام ستيفن روسو شندل (2009) بدراسة السياسة السكانية الإسرائيلية وتأثيرها على السياسة العامة وحقوق الانسان الفلسطيني، وخلصت الدراسة الى اعتبار الفلسطينيين قنبلة ديموغرافية، وأن السياسات الإسرائيلية تهدف الى دفع الفلسطينيين الى الهجرة، وأن هذه السياسات تتعارض مع حقوق الانسان.

مما سبق يتبين ان إسرائيل تولي اهتماما كبيرا بالوضع الديموغرافي في فلسطين، وأن سياستها قائمة على دفع السكان الفلسطينيين للهجرة الى الخارج، وفي نفس الوقت تعمل السياسة الديموغرافية الإسرائيلية على تعزيز التفوق الديموغرافي الإسرائيلي في فلسطين.

الوضع الديموغرافي في فلسطين قبل عام 1917

ظهرت أول دعوة يهودية للهجرة الى فلسطين عام 1865 من خلال يهودي تركي يدعى شبتاي تزفي Shabbetai Tzvi، وقد امر السلطان العثماني سليم الأول بالقضاء على حركته، الا ان اتباعه وهم من يهود الدونمة تظاهروا بالإسلام، وتمكن قسم منهم الوصول الى مناصب رفيعة في الدولة العثمانية والجيش في فترة ضعف الدولة (الزيتونة، 2012). وقد وضعت الحركة الصهيونية نفسها في مواجهة مع السكان الفلسطينيين من خلال ليس فقط الهجرة، ولكن أيضا من خلال الاستعمار الاستيطاني بهدف السيطرة على الأرض وطرد السكان العرب (تيم، 1986).

أدى ضعف الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين، وحصول الدول الأوروبية على امتيازات فيها الى ترجمة أطماع هذه الدول الى أفعال على الأرض، فاتفقت بريطانيا وفرنسا على تقاسم نفوذهما في الوطن العربي من خلال اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، فكانت فلسطين من نصيب بريطانيا.

وفي 2 تشرين الثاني من عام 1917 اصدر وزير الخارجية البريطاني ارثر جيمس بلفور تصريحاً ينص على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، عرف فيما بعد بوعده بلفور، ونص هذا الوعد على: "ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

عملت بريطانيا بموجب هذا الإعلان على تقديم كل التسهيلات لهجرة اليهود الى فلسطين، وزيادة عدد المستوطنات اليهودية. ويعتبر هذا الوعد غير قانوني لأن بريطانيا لا تملك ارض فلسطين، وفلسطين ليست جزءا من بريطانيا، وبريطانيا قوة استعمارية، وبالتالي فان بريطانيا لا يحق لها ان تمنح ارضا ليست لها الى غرباء قادمون من بلاد بعيدة (الكياي، 1990).

صدر صك الانتداب البريطاني من قبل عصبة الأمم المتحدة عام 1922، أي بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين ب 6 سنوات، وهذا الصك عزز نفوذ بريطانيا في فلسطين واعطاها القدرة على اتخاذ إجراءات عملية على الأرض لتنفيذ وعد بلفور، وعلى رأس هذه الإجراءات السماح لمزيد من الهجرة اليهودية واستيطان الأراضي، وكان مكدونالد قد بعث برسالة الى وايزمن اكد له فيها التزام بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور.

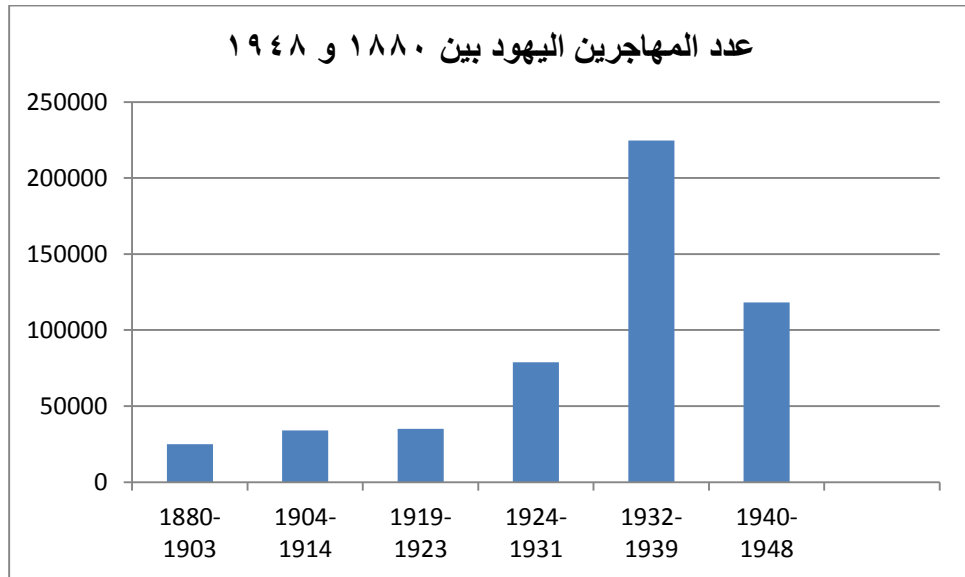
في عام 1920 انعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث بمدينة حيفا برئاسة مويى كاظم الحسيني، وقرر رفض وعد بلفور، ومنع الهجرة اليهودية، وتشكيل حكومة وطنية لفلسطين.

الجدول (1) يبين موجات الهجرة اليهودية الى فلسطين بين عامي 1880 و 1948

موجة الهجرة	الفترة	عدد المهاجرين	جهة القوم
الأولى	1880-1903	25000	روسيا-بولندا-رومانيا
الثانية	1904-1914	34000	روسيا وشرق اوروبا
الثالثة	1919-1923	35100	بحر البلطيق-روسيا-بولندا

بولندا-رومانيا-الشرق الاطوسط	78898	1931-1924	الرابعة
المانيا-أوروبا الغربية- بولندا	224784	1939-1932	الخامسة
وسط أوروبا-البلقان- بولندا-الشرق الاوسط	118300	1948-1940	السادسة
	516082	1948-1880	المجموع

شكل رقم (1): المهاجرين اليهود الى فلسطين بين عامي 1880 و 1948



يبين الشكل أعلاه أن الهجرة اليهودية الى فلسطين كانت منخفضة قبل وعد بلفور، حيث بلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بين 1880 و 1919 فقط 59 ألفا (خلال 39 سنة)، في حين تضاعف العدد بين 1919 و 1948 (خلال 29 سنة) وبلغ 457 ألفا، وهذا يؤكد التخطيط المحكم من قبل

بريطانيا وبالتعاون مع الحركة الصهيونية لتنفيذ وعد بلفور، ومن الملاحظ أيضا ان موجات الهجرة الأولى جاءت معظما من روسيا وبولندا وشرق أوروبا بشكل عام، الا ان مصادر الهجرة تغيرت في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين وأصبح معظمها من أوروبا الغربية، ليصل عدد المهاجرين حتى عام 1948 الى اكثر من نصف مليون مهاجر، وهذا العدد بالتأكيد يؤثر على الوضع الديموغرافي في فلسطين، ولا ننسى ان غالبية المهاجرين اليهود هم من الشباب القادرين على العمل وحمل السلاح.

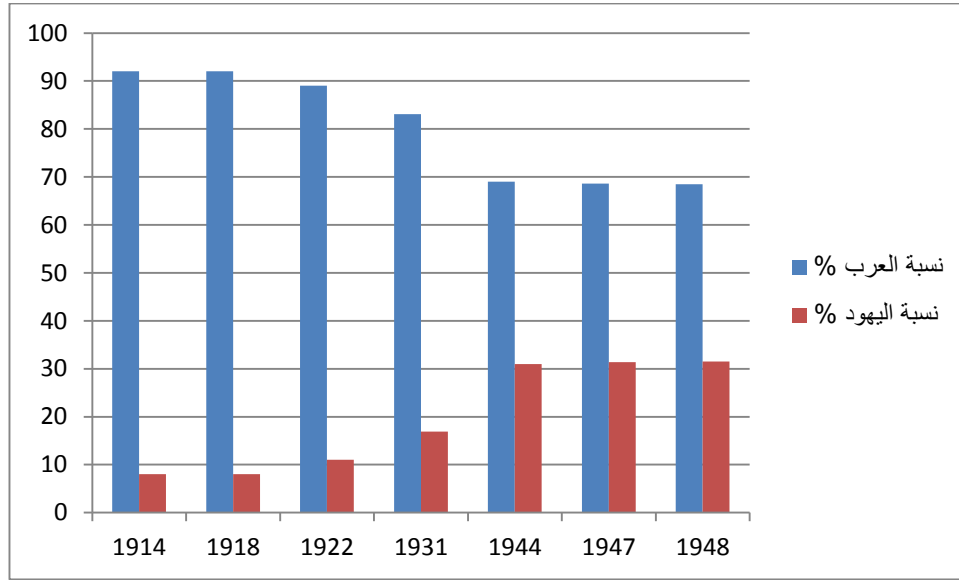
جدول رقم (2): نسبة السكان العرب ونسبة اليهود في فلسطين بين عامي 1914 و 1948

السنة	نسبة العرب %	نسبة اليهود %
1914	92	8
1918	92	8
1922	89	11
1931	83.1	16.9
1944	69	31
1947	68.6	31.4
1948	68.5	31.5

المصدر: صالح، 1996

وهذه النسب وفقا لمصادر الحكومة العثمانية وتقدير حكومة فلسطين والتقديرات الرسمية لحكومة الانتداب البريطاني.

شكل رقم (2): نسبة السكان العرب ونسبة اليهود في فلسطين بين عامي 1914 و 1948



الشكل السابق يبين التزايد المستمر في نسبة اليهود، فقد ارتفعت النسبة من 8% فقط عام 1914 الى 31.5% عام 1948، ومن الواضح ان فترة الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين الأكثر نشاطا للمهاجرين اليهود الى فلسطين.

وقد رافق الهجرة اليهودية الى فلسطين ارتكاب المجازر ضد السكان العرب على يد العصابات الصهيونية، فحتى عام 1948 ارتكبت ما يزيد عن 34 مجزرة تم الكشف عنها، ناهيك عن المجازر التي لم يتم كشفها، وقد دفعت هذه المجازر المروعة ما يزيد عن 800 ألف فلسطيني للهجرة هربا من القتل والتدمير وطلبا للأمن، بالإضافة الى تدمير نصف القرى الفلسطينية (531 قرية)، وهذه القرى تملك 92.6% من المساحة الكلية لفلسطين (أبو ستة، 2001).

أنشأت الحركة الصهيونية الوكالة اليهودية، وكانت مهمتها التخطيط للهجرات اليهودية الى فلسطين، كما أنشئ الصندوق القومي اليهودي، وكانت مهمته شراء الأراضي، أما المنظمات العسكرية و الشبه عسكرية فكانت مهمتها الأمن والحراسة وقتل الفلسطينيين (المسيري، 1988)، ولا يغيب عن أذهاننا ما قامت به حكومة الانتداب البريطانية من تقديم التسهيلات لليهود للاستيطان في فلسطين وتوفير فرص العمل لهم والتغاضي عن جرائمهم بحق الفلسطينيين، وتسهيل نقل الأراضي اليهم (البديري، 1998).

أما نسبة الأراضي التي حازها اليهود حتى عام 1948، فقد بلغت حوالي 6.6% من مساحة فلسطين، نصفها تم شراؤه من كبار ملاك غائبين غير فلسطينيين، ومن كبار ملاك فلسطينيين (البديري، 1998). وقبل انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين بشهر تقريبا بدأت العصابات الصهيونية بهجوم منظم على القرى العربية بهدف وصل المناطق التي استولوا عليها وطرد السكان العرب منها، كما قاموا بمحاصرة عدد كبير من القرى العربية من ثلاث جهات، وتركوا جهة رابعة مفتوحة أمام الفلسطينيين للهرب ونقل أخبار المجازر بهدف ترويع الناس وعدم العودة الى قراهم. وبعد انتهاء الانتداب قامت العصابات الصهيونية بارتكاب 17 مجزرة أخرى (بارود، 2008).

وقد قدرت الأمم المتحدة أن عدد الفلسطينيين الذين هجروا من بيوتهم وأراضيهم حتى نهاية عام 1948 ب 725 ألف نسمة (توفيق، 1978)، أما (أبو لغد، 1972) فقد قدر العدد ب 900 ألف نسمة، وقبل توقيع اتفاقية الهدنة عام 1949 كانت العصابات الصهيونية قد سيطرت على 78% من فلسطين.

إن الفترة التي سبقت عام 1948 اتسمت بتخطيط مشترك بين الحركة الصهيونية وبريطانيا، فكما شعروا بتماسك المقاومة الفلسطينية وفعاليتها يخرجون بمشروع سياسي جديد ووعود كاذبة الى حين

امتصاص غضب السكان، ثم يستأنفون اجراءاتهم الهادئة للسيطرة على مزيد من الأراضي وتهجير أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، واستقدام الاف اليهود من مختلف أنحاء العالم. لذلك كانت المقاومة الفلسطينية متقطعة وغير ضاغطة على حكومة الانتداب لتغير فعلا من سياستها تجاه الهجرة اليهودية وتسريب الأراضي لليهود.

الوضع الديموغرافي في فلسطين بين عامي 1949 و 1967

انشغلت إسرائيل في هذه الفترة في ترتيب أوضاعها الداخلية، خاصة فيما يتعلق بوضع الأطر القانونية للسيطرة على أملاك اللاجئين الفلسطينيين والتضييق على الذين بقوا في أراضيهم، وفي نفس الوقت بدأت إسرائيل بتقوية علاقاتها السياسية والاقتصادية مع مختلف دول العالم وخاصة الدول الكبرى حتى لإضفاء الشرعية السياسية على وجودها وتلقي المساعدات الاقتصادية والعسكرية ومواجهة التحديات المحتملة، وتمكنت من بناء مفاعل نووي في ديمونا بالنقب عام 1958 بالتعاون مع فرنسا أحد اهم اقطاب الاستعمار في المنطقة.

حتى عام 1949 سيطر الكيان الإسرائيلي على 78% من مساحة فلسطين الانتدابية، ولم يتبق من فلسطين سوى الضفة الغربية وقطاع غزة بعدد محدود من السكان، أما أراضي فلسطين 1948 فلم يتبق فيها من العرب سوى 11% أو ما يقارب 156 ألفا، وتركز وجودهم في مناطق الجليل والمثلث والنقب، في حين أجبر حوالي 800 ألف الى الهجرة سواء الى المناطق الفلسطينية المجاورة أو الى الدول العربية وخاصة لبنان وسوريا والأردن (الشرقاوي، 2007).

بدأت إسرائيل عملية إدارية ضخمة لأموال اللاجئين الفلسطينيين، بالإضافة إلى 50% من أراضي الفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم، فقامت بتحويل أملاكهم للملكية اليهودية العامة.

وفي عام 1950 صدر قانون أملاك الغائبين، ثم قانون أملاك الدولة عام 1951، وقانون استملاك الأراضي عام 1953، وبدأت عملية نقل الأرض استناداً إلى تسوية الملكية، مما أدى إلى حرمان كثير من العرب من حق الاحتفاظ بأراضيهم، وفي مراحل لاحقة تحول التركيز القانوني في مصادرة الملكية إلى تقييد استعمالات الأراضي (بفتاحيل، 2012). وبناء على تعليمات القيم على أملاك الغائبين الذي عين بتاريخ 15/7/1948 فقد اعتبر الفلسطينيون الغائبون فاقدى الحق في املاكهم ومنعوا من العودة إليها (حيدر، 2007).

وقد حدد قانون استملاك الأراضي لعام 1953 مدة عام تستطيع الدولة خلاله امتلاك الأرض في حال توفرت ثلاثة شروط: لم يكن الملك في حوزة أصحابه بتاريخ 1/4/1952، وأن الملك تم تخصيصه لغرض التطوير أم الاستيطان أو الامن بين 14/5/1948 و 1/4/1952 وما زالت هناك حاجة للملك للغرض نفسه (العلي، 2010).

شهدت الفترة بين 1949 و 1967 نشاطاً كبيراً للهجرة اليهودية إلى فلسطين، فجميع العوائق قد أزيلت وأصبحت إسرائيل دولة معترف بها من الأمم المتحدة وفق القرار 181، وأصبحت المنظمات الصهيونية في العالم تعمل مع دولة إسرائيل، ففي السنوات الأربعة الأولى بعد 1948 وصل إلى إسرائيل حوالي 700 ألف مهاجر من أوروبا ومن الدول العربية خاصة اليمن وليبيا والعراق. وقد بلغ المجموع الكلي للمهاجرين بين عامي 1949 و 1967 حوالي 1.3 مليون يهودي (info.wafa.ps). وقد انخفضت

نسبة العرب في فلسطين نتيجة الهجرة اليهودية من 18% (156 الف) في نهاية عام 1948 الى حوالي 12% (313 الف) في نهاية عام 1966.

الوضع الديموغرافي في فلسطين بعد عام 1967

تأرجحت نسبة الفلسطينيين في هذه الفترة بين 14.1% في نهاية عام 1967 و 18.6% في نهاية عام 1993. ومنذ عام 1967 أصبحت الإحصاءات الإسرائيلية تشمل القدس الشرقية واعتبرتها جزءا من إسرائيل، حيث بلغ عدد سكانها في ذلك العام 70 الف وارتفع الى 155 الفا عام 1993. ومنذ عام 1983 أصبحت إسرائيل تشمل الجولان في احصاءاتها بعد إعلانها عن ضمها، حيث بلغ عدد سكانها عام 1993 حوالي 17 الف نسمة.

اتبعت إسرائيل سياسة مصادرة الأراضي وبناء المستعمرات في بالضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة والجولان وسيناء، الا انه وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفد بين مصر وإسرائيل عام 1978 ازلت إسرائيل مستعمراتها في سيناء، وفي عام 2005 قامت إسرائيل من معظم قطاع غزة وأزلت المستعمرات منها لأسباب في جوهرها ديموغرافية.

أما بالنسبة للضفة الغربية فتعمل إسرائيل على تعزيز وجودها الاستعماري فيها، فأقامت ما يزيد على 150 مستعمرة في مختلف انحاءها مع تركيز لافق حول مدينة القدس، فطوقتها ب 20 مستعمرة من الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية، بهدف تحقيق تفوق ديموغرافي يهودي، وتعتمد إسرائيل الى التقليل من نسبة العرب في القدس وتنتشر أرقاما غير صحيحة، الا ان كثير من الباحثين الإسرائيليين أوضحوا أن السكان العرب يزدون بصورة أكبر بكثير من زيادة اليهود، فأشارت معطيات الكتاب السنوي

الاحصائي للقدس، التي ينشرها معهد القدس، بانه بين السنوات 1967 و حتى 2015 ازداد عدد السكان اليهود في المدينة بـ174 الف نسمة، ولكن السكان العرب ازدادوا في هذه الفترة الزمنية ضعفين فأكثر، وحسب المعطيات الرسمية، يعيش في القدس اليوم 542 الف يهودي (مقارنة بـ187700 قبل خمسين سنة) و 324 الف عربي (مقارنة بـ86600 قبل خمسين سنة) وبذلك يشكل الفلسطينيون 37% من مجموع سكان القدس.

وفي الضفة الغربية بشكل عام، بما فيها القدس الشرقية، فقد ارتفع عدد المستعمرين في عام 2014 ليصل إلى 589285 مستعمرا، بزيادة قدرها 4%، وفق أرقام صادرة عن وزارة الداخلية الإسرائيلية. وكان نحو 375 ألف مستعمر يعيشون في بداية عام 2014 في المناطق المصنفة "ج" في الضفة الغربية المحتلة، وهي المناطق التي توجد فيها غالبية المستعمرات التي يعتبرها المجتمع الدولي غير شرعية. ويعيش نحو 300 ألف فلسطيني في منطقة "ج"، بحسب مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة (أوتشا)، وتعد مستوطننا موديعين عيليت، غرب رام الله (64862 مستعمرا) وبيتار عيليت، جنوب القدس (49580 مستعمرا) الأكثر كثافة سكانية، بعدها تأتي مستوطنة معاليه ادوميم شرق القدس في المركز الثالث (39973 مستعمرا).

أما في فلسطين عام 1948 فيعود الثبات النسبي لنسبة العرب الى اليهود الى استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين، علما بأن الزيادة الطبيعية للعرب تزيد على 3% في حين تبلغ الزيادة الطبيعية لدى اليهود 1.6% فقط، وبالتالي يمكن اعتبار المجتمع الإسرائيلي مجتمعا مهاجرين.

ومن الجدير بالذكر أن اليهود الغربيين شكلوا الأغلبية الساحقة قبل عام 1948، إلا أن نسبتهم انخفضت بسبب تزايد هجرة اليهود الشرقيين، ففي مطلع السبعينات من القرن العشرين تفوقت نسبة اليهود الشرقيين على الغربيين، إلا أنه ومع تدفق الهجرات اليهودية من الاتحاد السوفييتي السابق في السنوات الثلاث الأولى من تسعينات القرن الماضي زادت نسبة اليهود الغربيين فوصلت 39.9% مقابل 36.3% للشرقيين.

وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة اليهود من قارة آسيا (تركيا، اليمن، إيران، العراق) بلغت 17%، أما نسبتهم من قارة أفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، إثيوبيا) فقد بلغت 19.3%، ومن أوروبا وأمريكا ومن مواليد فلسطين فقد بلغت النسبة 39.9% (الاتحاد السوفييتي، بولندا، رومانيا، بلغاريا، اليونان، ألمانيا، النمسا، أوكرانيا).

وفي الفترة الواقعة بين عامي 1986 و 1998 شهدت فلسطين هجرات شهدت فلسطين هجرات يهودية وافدة كثيفة وخاصة من الاتحاد السوفييتي السابق، حيث بلغ عدد المهاجرين اليهود حوالي 939 ألف نسمة منهم 773 ألفا من الاتحاد السوفييتي، معظمهم من خريجي الجامعات التقنية والهندسية، وبالتالي فإن اليهود الروس يشكلون حوالي 10% من سكان إسرائيل.

يتبين مما سبق أن المجتمع الإسرائيلي جله من المهاجرين الذين استوطنوا أرض فلسطين بالقوة والتأمر، وتزداد نسبة اليهود الذين يولدون في فلسطين مع الزمن، إلا أنهم ينحدرون من أعراق مختلفة غير متجانسة، والذي يجمعهم أما الفكر الصهيوني أو الدين، فهناك اليهود الغربيون من مواليد أوروبا وأمريكا وهناك اليهود الشرقيون من مواليد آسيا وأفريقيا، وهناك اليهود الذين ولدوا في فلسطين.

انخفضت معدلات الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد انتفاضة الأقصى عام 2000، فبعد أن كان معدل المهاجرين يفاؤب 100 الف مهاجر سنويا، انخفض الى 35 ألفا. وحتى اليوم لم تتجاوز معدلات الهجرة اليهودية السنوية هذه الأرقام، إذ لم تعد إسرائيل جاذبة ليهود أوروبا وامريكا، لذلك تخطط إسرائيل لإستجلاب 200 ألف يهودي من الارجننتين و 80 ألفا من الهند وجنوب افريقيا (السهلي، 2012). ويعود سبب إحجام يهود أوروبا وأمريكا عن الهجرة الى إسرائيل الى مستوى المعيشة العالي في هذه الدول، ومن اللافت ان نسبة الشباب اليهود الراغبين للهجرة الى فلسطين تنخفض بشكل مستمر. كما أن معدل الزيادة الطبيعية السنوية انخفضت الى ما دون 1.6%، وهذا أدى الى شيخوخة الهرم السكاني، وانخفضت نسبة صغار السن ممن هم دون السابعة عشرة الى حوالي 32% في سنة 1997. إن شيخوخة المجتمع الإسرائيلي تؤثر سلبا بشكل مباشر على الفئة العمرية النشطة إقتصاديا، مما يضطر إسرائيل الى تعويض هذا النقص من العمال الفلسطينيين واستقدام عمال من دول جنوب شرق اسيا، كما انه يؤثر على الاعداد القادرة على الالتحاق بالجيش.

يمكن القول ان إسرائيل استطاعت أن تستقطب حوالي 4 ملايين يهودي من مختلف أنحاء العالم منذ عام 1948 وحتى اليوم، وهذا العدد يمثل 65% من السكان اليهود في إسرائيل، اما الهجرة اليهودية الخارجة من إسرائيل فقد بلغت نسبتها 20% من هذا العدد.

من الواضح تماما ان إسرائيل توشك ان تستنفذ جهودها في استقدام مهاجرين جدد وان الواقع الديموغرافي اذا تطور بشكل طبيعي أو شبه طبيعي فإن المعادلة حتما ستكون لصالح الفلسطينيين، ومن هنا فإن إسرائيل تسعى بكل قوتها الى انتزاع اعتراف من الفلسطينيين بيهودية الدولة، حتى يتسنى لها طرد الفلسطينيين من الجليل والمثلث والنقب بطريقة قانونية.

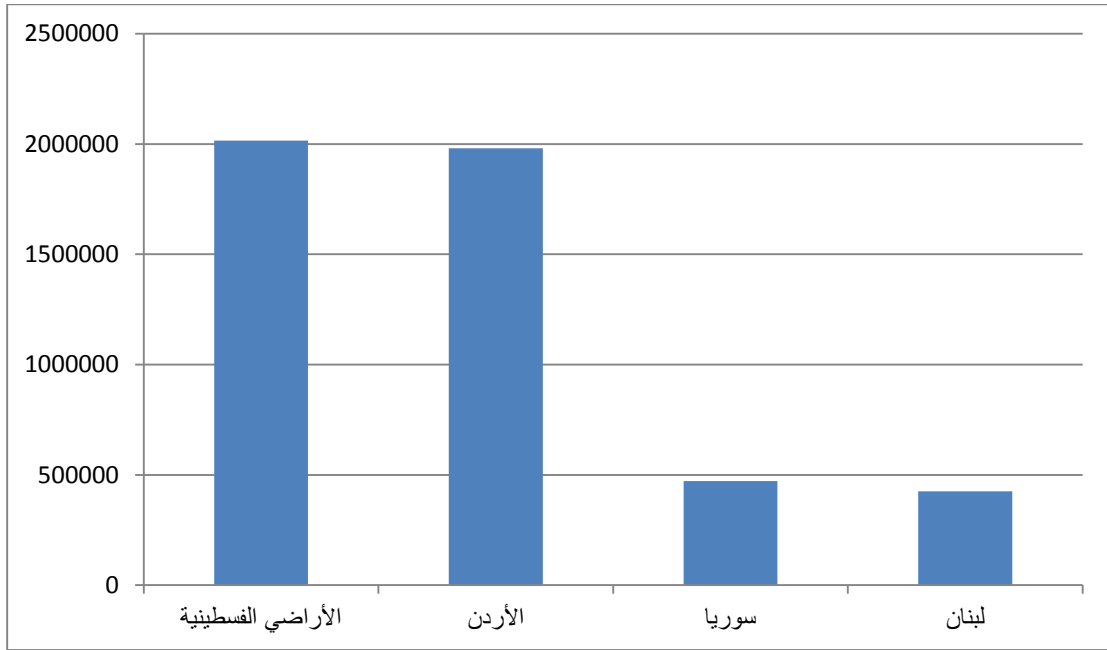
أما بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة، فقد أدت حرب 1967 الى تشريد حوالي 400 ألف نسمة من الضفة الغربية و 50 ألفا من قطاع غزة (إبراهيم، 2004). ويبين الجدول رقم (3) اعداد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لدى الاونروا حسب الدولة في العام 2010

جدول رقم (3): اعداد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لدى الاونروا حسب الدولة في العام 2010

الدولة	عدد اللاجئين
الأراضي الفلسطينية	2015855
الأردن	1980000
سوريا	472109
لبنان	425460
المجموع	4893424

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2010

شكل رقم (3): اعداد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لدى الاونروا حسب الدولة في العام 2010



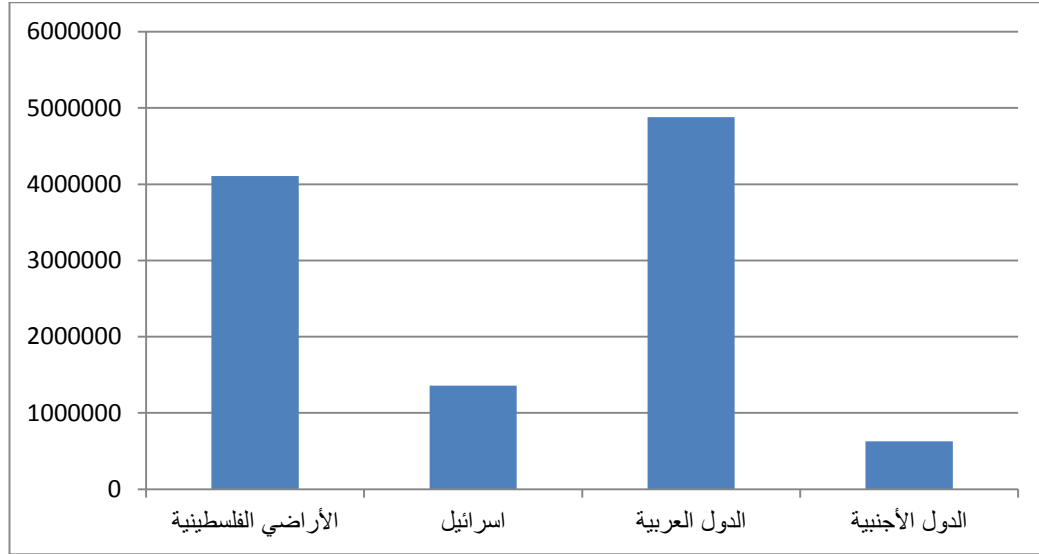
أما عدد الفلسطينيين المقدر في العالم حسب دولة الإقامة نهاية عام 2010، فيبينه الجدول رقم (4).

جدول رقم (4): عدد الفلسطينيين في العالم حسب تقديرات عام 2010

الدولة أو المنطقة	العدد نسمة	النسبة %
الأراضي الفلسطينية	4108631	37.5
اسرائيل	1360214	12.4
الدول العربية	4880000	44.4
الدول الأجنبية	626824	5.7
المجموع	10972158	100

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2010

شكل رقم (4): عدد الفلسطينيين في العالم حسب تقديرات عام 2010



الشكل (4) يبين أن حوالي 50% من الشعب الفلسطيني يعيش في الشتات موزعين على الدول العربية والاجنبية نتيجة للإحتلال الصهيوني لفلسطين، ووفقا لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني فقد بلغ عدد السكان في إسرائيل 7.753 مليون نسمة، منهم 20.6% من الفلسطينيين، وكما يتضح أيضا من الجدول رقم (4)، فإن عدد الفلسطينيين في فلسطين الانتدابية وصل 5.6 مليون نسمة عام 2012، في حين بلغ عدد اليهود 5.9 مليون، وهذا يعني أن نسبة اليهود تفوق نسبة الفلسطينيين بـ 2% فقط، وأنه بسبب انخفاض معدلات الهجرة اليهودية منذ عام 2000، فإنه من المتوقع حسب تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لعام 2016 أن يتساوى عدد الفلسطينيين واليهود في فلسطين الانتدابية مع نهاية عام 2017.

وأشار التقرير الذي صدر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في نهاية عام 2016 أن عدد الفلسطينيين المقدر في العالم يبلغ 12.7 مليون نسمة موزعين كما يلي: (4.88 مليون في الضفة

الغربية وقطاع غزة، و 1.53 مليون في إسرائيل، و ما يقارب 5.59 مليون في الدول العربية، و نحو 696 ألفا في الدول الأجنبية).

قدر عدد السكان في دولة فلسطين في نهاية عام 2016 بحوالي 4.88 مليون فرداً؛ حوالي 2.97 مليون في الضفة الغربية و 1.91 مليون في قطاع غزة، منهم نحو 41.9% من اللاجئين؛ بواقع 26% في الضفة الغربية و 66.7% في قطاع غزة.

انخفاض في معدلات الخصوبة خلال السنوات الأخيرة

وتشير بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الى انخفاض معدل الخصوبة الكلي خلال الفترة 2011-2013 إلى 4.1 مولوداً (مقارنة مع 5.9 مواليد عام 1999)؛ 3.7 مولوداً في الضفة الغربية و 4.5 مولوداً في قطاع غزة، كما انخفض متوسط حجم الأسرة إلى 5.2 فرداً عام 2015 (مقارنة مع 6.1 فرداً عام 2000)؛ بواقع 4.9 فرداً في الضفة الغربية و 5.7 فرداً في قطاع غزة.

واتجهت معدلات المواليد والوفيات الخام نحو الانخفاض، عبلغ معدل المواليد الخام في العام 2016 في فلسطين 30.9 مولوداً لكل 1000 من السكان؛ 28.5 مولوداً في الضفة الغربية و 35.8 مولوداً في قطاع غزة. كما بلغ معدل الوفيات الخام في العام 2016 في فلسطين 3.5 حالة وفاة لكل 1000 من السكان؛ 3.7 في الضفة الغربية و 3.3 في قطاع غزة. وأظهرت البيانات أيضاً ارتفاع معدلات

الخصوبة بين الفلسطينيين في الأردن مقارنة بالفلسطينيين في سوريا ولبنان، حيث بلغ

معدل الخصوبة الكلي للمرأة الفلسطينية المقيمة في الاردن 3.3 مولوداً للعام 2010 مقابل 2.5 مولوداً في سوريا للعام 2010، في حين بلغ المعدل 2.8 مولوداً في لبنان للعام 2011.

أما بالنسبة لعدد الفلسطينيين المقدر في إسرائيل فقد بلغ 1.53 مليون فلسطيني نهاية العام 2016، وبلغ معدل نسبة الأفراد دون الخامسة عشرة من العمر نهاية عام 2015 للذكور والاناث 33.9%، في الوقت الذي بلغ فيه معدل نسبة الأفراد الذين أعمارهم 65 سنة فأكثر للذكور والاناث 4.4% انخفضت معدلات الخصوبة لدى النساء الفلسطينيات في إسرائيل وأصبحت مساوية للنساء الاسرائيليات، نظرا لسوء الأوضاع الاقتصادية للعرب في إسرائيل مقارنة مع اليهود، ونشجيع الحكومة الإسرائيلية للعرب بالحد من النسل، وتأثر المجتمع الفلسطيني في إسرائيل بالنظان الاجتماعي الإسرائيلي السائد.

فبلغ معدل الخصوبة الكلي للمرأة الفلسطينية والإسرائيلية في إسرائيل 3.13 مولوداً وذلك للعام 2015، وبلغ متوسط حجم الأسرة الفلسطينية في إسرائيل 4.6 أفراد، وبلغ معدل المواليد الخام حوالي 23.6 مولوداً لكل 1000 من السكان.

إن عدد الفلسطينيين في فلسطين التاريخية سيتخطى عدد الإسرائيليين عبر الزمن، فبناء على تقديرات دائرة الإحصاءات الإسرائيلية سيتساوى عدد السكان الفلسطينيين والإسرائيليين في نهاية عام 2017، وستصبح نسبة السكان الإسرائيليين حوالي 49.3% من السكان بحلول نهاية عام 2020 حيث سيصل عددهم إلى نحو 6.96 مليون إسرائيلي مقابل 7.12 مليون فلسطيني.

الخلاصة

بينت هذه الدراسة أن اليهود تمكنوا من إقامة دولة لهم في فلسطين بدعم كامل من بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي 1922 و 1948. وقد نفذت بريطانيا وعد بلفور

من خلال رعاية الهجرات اليهودية من مختلف انحاء العالم الى فلسطين، في نفس الوقت ضيقت بريطانيا الخناق على الشعب الفلسطيني وخدعته بالوعود الكاذبة.

بينت الدراسة أيضا ان موجات الهجرة اليهودية بلغت اوجها في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين، بحيث وصلت نسبة اليهود في فلسطين عام 1948 الى حوالي 31%، في حين كانت نسبتهم قبل عام 1919 لا تتجاوز 8.3%. وتوالت الهجرات اليهودية الى فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل بين عامي 1949 و 1967 حيث وصل الى فلسطين في هذه الفترة ما يزيد على 1.3 مليون مهاجر يهودي. أما بعد عام 1967 واحتلال إسرائيل لما تبقى من فلسطين وارض عربية أخرى، فقد اتبعت إسرائيل سياسة السيطرة على أراضي الفلسطينيين ومصادرتها وبناء المستعمرات والمعسكرات وشق الطرق الالتفافية وإقامة الجدار العازل بهدف دفع السكان الفلسطينيين للهجرة خارج وطنهم، وتواصلت موجات الهجرة حتى بلغت أوجها في التسعينات من القرن الماضي، وخاصة هجرة اليهود الروس، الا انه بعد عام 2000 وانتفاضة الأقصى فقد تراجعت معدلات الهجرة اليهودية الى فلسطين انخفاضاً حاداً، ولم يعد لإسرائيل أي خيارات فاعلة لإستقدام مهاجرين جدد باعداد كبيرة، وأصبح عدد الفلسطينيين في عام 2017 يساوي عدد اليهود في فلسطين الانتدابية، ومن المتوقع أن يتفوق الفلسطينيون ديموغرافيا على اليهود في الأعوام القليلة القادمة. وحتى تحقق إسرائيل تفوقا ديموغرافيا على الفلسطينيين، تسعى الى انتزاع اعتراف من الفلسطينيين ومن العالم بيهودية الدولة، واذا ما فشلت في ذلك، ربما تسعى إسرائيل الى خلق ظروف طاردة للفلسطينيين من وطنهم، عن طريق السعي لتهديد السلم الاجتماعي، كما هو حاصل في بعض البلدان العربية.

وفي ظل انسداد الأفق السياسي والتعنت الإسرائيلي توصي الدراسة بضرورة إقامة مشاريع اقتصادية فاعلة للحد من نسبة البطالة المرتفعة والحيلولة دون هجرة الشباب الى الخارج، وتعزيز صمود السكان على أرضهم، وتقليل اعتمادهم على العمل في إسرائيل والمستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية. كما توصي الدراسة بضرورة إعطاء اهتمام خاص لسكان القدس والفلسطينيين في فلسطين عام 1948، وتوثيق العلاقات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية معهم، لتعزيز صمودهم على أرضهم. ومن أجل الإبقاء على قضية اللاجئين حية، لا بد من استمرار وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في أداء دورها الإنساني تجاههم لحين حل قضيتهم السياسية حلا عادلا وفق قرارات الشرعية الدولية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، يوسف (2004): التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، باحث للدراسات، بيروت.
- أبو ستة، سلمان (2001): حق العودة مقدس وقانوني وممكن، المؤسسة العربية للنشر، بيروت.
- أبو لغد، جانيت (1972): التحول الديموغرافي لفلسطين - تهويد فلسطين، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.
- أبو ستة، سلمان (2001): اللاجئون الفلسطينيون الواقع الراهن والحل، المركز القومي للدراسات والتوثيق، الطبعة الأولى، غزة.
- أبو أكرم، عمرو (2010): الاستيطان الإسرائيلي بين الجغرافيا والديموغرافيا استراتيجية تحكمها الأيديولوجيا، الحوار المتمدن، العدد 3010.

- البابا، جمال (2004): الهاجس الديموغرافي في إسرائيل، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، العددان 15 و 16.
- بارود، نعيم (2008): البعد الجغرافي لنكبة عام 1948، مؤتمر ستون عاما على نكبة فلسطين، الجامعة الإسلامية، غزة.
- البديري، هند (1998): أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، القاهرة.
- توفيق، محمود (1978): البعد المكاني والبعد الزمني، الفلسطينيون في الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
- تيم، سعيد (1986): البعد الديموغرافي في الصراع العربي- الإسرائيلي، شؤون فلسطينية، العددان 156 و 157.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2011): كتاب فلسطين الإحصائي السنوي، رام الله.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2012): كتاب القدس الإحصائي السنوي، رام الله.
- حيدر، عزيز (2007): سياسة إسرائيل نحو أملاك الغائبين الفلسطينيين، قضايا إسرائيلية، 27، مدار.
- الزيتونة (2012) مستقبل الدولة الفلسطينية في ظل حل الدولتين، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- ستيفن روسو سندرل (2009): السياسة السكانية الإسرائيلية وتأثيرها على السياسة العامة وحقوق الانسان الفلسطيني، موقع الكتروني.

- <http://www.irmgard-coninx>

tiftung.de/fileadmin/user_upload/pdf/Population_Politics/PopPolitics/R

ousoSchindler.pdf

- السهلي، نبيل (2012): يهودية دولة إسرائيل ومعضلة الديموغرافيا، صحيفة المستقبل، العدد 24، بيروت.

- الشراوي، فواز (2007): السكان اليهود في فلسطين- دراسة في الصراع السكاني خلال النصف الثاني من القرن العشرين، سلسلة الدراسات الإنسانية، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، العدد الثاني.

- صالح، حسن (1996): جغرافيا فلسطين، برنامج التربية، معهد البحوث والدراسات العربية.
- عبد العاطي، صلاح (2007): الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948، الحوار المتمدن، العدد 1833.

- عبد العال، حسن (2001): الجيوبوليتيكا الإسرائيلية- المدخل الى جيوبوليتيكا الحرب الإسرائيلية، مجلة الفكر السياسي، العدد 13-14.

- العلي، إبراهيم (2010): الإرهاب الصهيوني تجاه الأرض الفلسطينية- قانون أملاك الغائبين نموذجا.

- الكيالي، إسماعيل (1990): تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة العاشرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- ماوريتسيو سكاينو (2006): الديموغرافيا والأقليات والهجرة وعوامل جغرافية سياسية جديدة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، جامعة تريستي، إيطاليا.

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec258.doc_cvt.htm

- المسيري، عبد الوهاب (1988): الاستعمار الاستيطاني الصهيوني: أهدافه وآلياته وسماته الأساسية.

- يفتاحيل، ارون (2012) الاثنوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين، ترجمة سلافة حجاوي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله.